اللاذقية

بين فيض العطاء وطمأنينة الأرض: مزارعو ريف اللاذقية يستبشرون خيراً



الكاتب
لوبين عمران
مراسلة شبكة سيريا مورس الإخبارية في اللاذقية

تاريخ النشر
29 أبريل 2026



تجاوزت الهطولات المطرية في المنطقة الساحلية هذا العام كافة المعدلات التاريخية المسجلة، مما أدى إلى تحقق ميلاد النهر الكبير الشمالي بريف اللاذقية خارج ضفافه ليغمر الأراضي المحيطة بمساره. ورغم ما تثيره الفيضانات عادة من مخاوف، إلا أن سكان القرى المحتمة من وهاد الخان وصولاً إلى جبل النوبة وسلمى وكرسو استقبلوا هذا الحدث بارتياح واسع، نظراً للأهمية الاستراتيجية لهذه المياه في إنهاء حقبة من الجفاف أوقعت التربة والمزارعين في حالة من الإنهاك.

لم يكن هذا الفيضان بالنسبة للأهالي مجرد ارتفاع في منسوب المياه، بل استجابة طبيعية لسنوات من الشح القاسي، حيث ساهم في تعويض النقص الحاد في الينابيع المحلية المحدودة التي كانت تعجز عن تلبية احتياجات الري خلال فصل الصيف.

إن وصول المياه إلى هذه المساحات الواسعة يضمن استعادة التوازن الحيوي للتربة ويوفر مخزوناً جوفياً كافياً، مما يعيد الطريق لموسم زراعي وفير يعيد للمنطقة إنتاجيتها المعهودة بعد فترة طويلة من الاعتماد على مصادر مائية غير كافية.

ذكرة الأش

طالما خل المزارعون في قرى الريف الشمالي صراعاً مريراً مع محدودية الموارد المائية، حيث قل الينابيع المتوفرة في تك التضاريس الجبلية والمنحدرت غير كفية لإروا المساحت الشاسعة أو تشبع التربة في أعماقها بما يضمن بقا الأشجار مثمرة. وجا فيضان النهر الكبير الشمالي ليكون المنقذ الطبيعي، إذ توفت المياه في موسم الأش لتعيد إحيا الخزانت الجوفية وتغسل التربة من الأملاح المتركمة.

غسلة للقلوب والترب

في جولة استطلاعية لشبكة "سيريا مورس" الإخبارية وصت خلالها آرا أهالي ريف اللاذقية حول تحقق السيول وتفجر الينابيع، لم تكن ملامح الخوف من "الفيضان"هي السائدة، بل غلبت عليها مشاعر الامتنان والاستبشار بموسم زراعي واعد.

بخبرة السنين وحكمتها، أشار الحاج أبو محمد أحد كبار مزارعي منطقة كرو إلى أن هذا المشهد المائي الذي قد يراه البعض "فيضاناً مخيفاً"، يراه الفلاحون غسلةً للقلوب والترب.

وافق أبو محمد إلى أنهم واجهوا أيامًا صعبة كانوا يقتصون فيها بقطرت الينابيع التي لم تكن تروي ظمأ الشجر، مؤكداً أنهم اليوم على موعد مع صيف أخضر بامتياز، لأنها وأن المياه غمرت وروت كل شبر من أرضهم.

تحاف الأش مع صاحبها

يرسم تحقق مياه النهر فوق أراضي جبل النوبة لوحة من الطمأنينة في نفوس المزارعين، الذين يرون في هذه الفزارة ضمانة لموسم وفير يعيد للأش حيويتها، مؤكدين أن التربة التي ترتوي حتى التشبع لا تخذل صاحبها بل ترد العطاء مضاعفاً عند الحصاد. ويترافق هذا الشعور مع تطلعات واسعة لأهالي منطقة سلمى وكرو نحو التوسع في زراعة الأشجار المثمرة والخضروات الصيفية، استنادًا إلى قناعة راسخة بأن جودة وحجم ثمار التربة الفيضية تتفوق بمراحل على تلك التي تعتمد على الري الصناعي، مما يجعل من هذا العام محطة حقيقية لتحقيق الكتفاء الذاتي من أصناف الفواكه التي كانت تتطلب سابقاً كاليف باهظة ورعاية استثنائية.

وفي قرية وادي الأثل وضع الصحفي هيثم الحسن الضوء على الجانب الإنساني الذي صاحب الفيضان، موضحاً أن المشهد الميداني يختلف جملة وتفصيلاً عما روجت له بعض المنصات الباحثة عن الأزمات. مؤكداً أن المحاصيل القائمة لا تزال في حالة ممتازة، كما أظهر الموثق، الذي يمثل العصب الحيوي لمعيشة السكان، بعيداً عن دائرة الشائعات الحقيقية.

وأشار هيثم إلى أنه على الرغم من وقوع بعض الحوادث العرضية التي تمثلت في جرف المياه لسيارات كانت مركونة في منخفضات قريبة من المجرى، مبيناً أن كاهل المجتمع المحلي وشهامة الشباب جنباً إلى جنب بالإضافة إلى التدخل الاحترافي والسريع لرجال الدفاع المدني، ساهم في استعادة الممتلكات بأقل الأضرار. والمفارقة الجميلة تكمن في موقف أصحاب تلك السيارات أنفسهم، الذين قابلوا الموقف برضا تام، إدراكاً منهم بأن هذه الحوادث ليست إلا ضريبة بسيطة مقابل الخير الوفير الذي استطاعها الأش في شتى أرجاء القرية.

الذهب الطيف المتجدد

وفي السياق نفسه أشار المهندس الزراعي الدكتور باسل العلي إلى رؤيته التحليلية المعمقة حول الجدوى الاقتصادية والبيئية لهذا الفيضان، موضحاً أن هذا الموسم يحمل بشائر خير، لأنها لمحصول الزيتون الذي يعتبر الهوية البصرية والاقتصادية لريف اللاذقية. مبيناً أن ما قام به النهر هو عملية "تنقية طبيعية" واسعة النطاق، حيث نقلت التيارات المائية وترسبت في الأراضي المستوية كميات هائلة من المواد الطينية والرملية الغنية بالعناصر الكيميائية والمواد العضوية المتفسخة.

لافتاً إلى أن هذه الترسبات، التي يطلق عليها علمياً "التربة الفيضية" وتعرف في الموروث

الشعبي لمنطقة بفم "اللحفيات" تشكل طبقة سميكة من الطين الداكن الذي يعمل كإسفنجة مغذية للجذور.

وبين الكتور العبي أن هذه العملية تتم عبر آليات طبيعية معقدة تساهم في تجديد خصوبة الأرض المنكة، مضيفاً أن مع انسار المياه تتبقى هذه الطبقة لتشكل سداً مثالياً للبخور، مما يقلل بشكل كبير من حاجة المزارعين للأسمدة الكيماوية التي بات أسعارها تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل المنتج.

استراتيجيات الاستثمار الزراعي للمرحلة القادمة

وأكد الكتور العبي أن المرحلة التي تلي انسار مياه الفيضان هي المرحلة الأهم، حيث تتحول الأرض إلى منابع من الخصوبة الجاهزة للاستثمار. مشيراً إلى ضرورة التحرك السريع لاستغلال هذه الطوبة العالية والمغذيات المتوفرة. خاصة وأن التربة التي سقاها النهر الكبير الشمالي بات اليوم مؤهلة لزراعة محاصيل متنوعة، وعلى رأسها القمح والشعير التي ستنمو بقوة ومقاومة عالية للأمراض.

تكامل الوعي الشعبي والعمل المؤسساتي

يعكس فيضان النهر الكبير الشمالي صورة ناصعة لعمق الارتباط بين الإنسان وأرضه في ريف اللاذقية، حيث تحولت غزارة المياه من تحدٍ لوجستي إلى بشارة خير استقبلها الأهالي بوعي جمعي لافت.

هذا المشهد لم يكن مجرد ظاهرة طبيعية عابرة، بل تجسيد لحالة من الكاك المجتمعي الذي يدرك قيمة الموارد المائية في صياغة مستقبل زراعي واعد، محولاً "ثورة" النهر إلى طاقة إيجابية تسري في عروق القرى والبلدات.

إن تحقق الخير في منطقة وهاد الذن وجبل النوبة يؤكد أن الأرض السورية لا تزال تختزن في باطنها الكثير من العطاء لأبنائها الصادقين، وأن هذه الوفرة المائية هي بمثابة شريان حياة جديد يغذي التربة ويعد بموسم استثنائية.

إذ تتجاوز أهمية هذا الفيضان حدود اللحظة الراهنة، لتضعنا أمام مسؤولية استثمار هذه النعمة في تعزيز الأمن الغذائي المحلي وتطوير الواقع الزراعي في المنطقة. فالمياه التي غمرت الساحات الخضراء اليوم هي ذاتها التي ستتحول غداً إلى محاصيل وفيرة وخيرات تعم أرجاء الريف، مما يساهم في خفض عجلة الاقتصاد المنزلي وتحسين جودة الحياة للأسر الفلاحية. بالإضافة إلى أن استدامة هذا الخير يتطلب استمرار روح التعاون والمبادرة التي أظهرها المجتمع المحلي، لتبقى الموسم المطرة كيزة أساسية في بناء مستقبل مزهر، يترجم صمود الأرض إلى رخاء ملموس يطرق باب كل بيت، معلناً بداية عهد جديد من الخصوبة والنماء لا يعرف الكلل.

الرابط البديل للمقال

قرأ المقال على الموقع

Read Article on Website

syriamorse.com/?p=6468

SCAN TO READ